عثمان
الجديد

# سوري وحر

# سوري وحر

عثمان الجديد

Moroccan Writers ©

**جميع الحقوق محفوظة**

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين مادته

بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء

كانت إلكترونية أو ورقية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو

خلاف ذلك إلا بموافقة خطية من المؤلف مقدّما

**Moroccan Writers ©**

**لطالما كانت الحياة صعبة، لكن لا يأتي اللّيل إلاّ ويأتي بعده الفجر.** هكذا كان يهمس جدي في أذني كل ليلة وهو يحملني بين يديه بينما تنزل الصواريخ فوق رؤوسنا ونحن نجتمع لنصلي ونطلب الشهادة أو النجاة من هذا البطش. آسف لأنني لم أعرف بنفسي، أنا محمد، لاجئ سوري في المغرب منذ شهر، لقد أتيت لهذا البلد الكريم بعد ان احتلت بلدي جائحات الثورة ودبّت نيران الحرب من كل مكان. لم أعد أعرف مدينتي بين الأطلال المدمَّرة والجثث المبعثرة التي فقدت قيمتها حيث فقد الانسان قيمته وصار يقتل بدون سبب. لازلت أتذكر الرحلة من مدينتي حلب في آخر حافلة ذاهبة، أختي الصغيرة بين يديّ وأنا أرى مدينتي تتضاءل إلى أن بدأت تتوارى بين إطلاق النار. والناس تركض لتستنجد ولكن ما من منقذ.

أتيت برا وبحرا إلى أن وصلت إلى البلاد الموعودة، الديار الإيطالية حيث قيل لنا أن الناس ترحب بنا وأن المساواة والحقوق لكل الناس. ما إن وصلنا حتى التفّت الجمارك من حولنا وبدأت تفتشنا من كل حذب وصوب، رأينا القلق على وجوه المسافرين "الغير اللاجئين"، الناس من كل الأجناس تمر إلاّ نحن ننتظر متى يأتي الدور ويُسمح لنا بدخول الجنة الموعودة بعيدا عن النيران المضرمة في كل مكان، بعيدا عن الظلم وبعيدا عن كل المآسي والأحزان. ما إن فتح الباب حتى أُخذنا بالعنف إلى الملاجئ، لم نعرف أين نحن ولا متى يحين وقت خروجنا. حضنت أختي الصغرى وأنا أرى شرارة الكره في كل من حولنا وهم يروننا ندخل بلادهم. لا يعلمون حرقة ترك بلدك وبيتك بشقّ الأنفس لتهرب، وليس أمامك إلا الرحيل أو الموت. حضنت أختي فهي كل ما تبقى لي لأتذكر وطني وبيتي، حضنتها وهي لا تعرف لم الناس حولنا يصرخون ويعنفوننا أينما ذهبنا، حضنتها لأن براءتها أقوى من شر العالم. كنا من أواخر اللاجئين القادمين للديار الأوروبية، فبعد كل المشاكل مع اللاجئين أقفلوا الحدود بعدنا، إلا أننا كنا ندفع ثمن أخطاء لم نقترفها، فقط لأن لون بشرتنا ليست كلون بشرتهم ولغتنا ليست كلغتهم، إلا أنني تحملت كل المقاسي للعيش وجلب قوتٍ يومي لي ولأختي، لإعطائها حياة لم تحلم بها ولتعيش كأي طفل يدرس وينام ويحب ويلعب.

كانت للحياة سيرورة عادية، أعمل لقوت يومي و أتكفل بأختي و دراستها و نعيش في الملجأ الذي يقطن به أكثر من ألفي شخص في ظروف لا إنسانية. إلاّ أن الكل كان شديد الشوق لموطنه مليءً بالأحزان. كنا كالعائلة الواحدة، تدق ساعات الليل فنجتمع لسماع كل البلدان تمثل نفسها بأغانيها، فتحس أن معظم الأغاني تملؤها الأحزان و الشوق للوطن رغم اختلاف اللغات إلا أن الإحساس ذاته. فمهما اختلف لون البشرة و اختلفت الثقافات فالموطن هو كل ما نملك و كل ما نعرف، و لكن ما لم نعلمه هو رغم أن الحياة بدت و كأنها تبتسم لنا إلا أنه

حصل ما لم يكن في الحسبان...

كنا نجلس في وسط ساحة الملجأ نسمع المذياع لنتلقط أخبار العالم، تارة نسمع أخبار بلداننا و تارة نسمع أخبار بلدان لم نسمع بها قط، إلى أن جاء خبر الفيروس الملعون الذي انتقل من الصين و حل بإيطاليا. دبَّ الهلع في الملجأ والكل يحاول الرحيل في كل صوب واتجاه، فقامت السلطات بمحاولة تخفيف الوضع واحتواء الذعر، لكنهم أخفقوا ورحل معظم اللاجئين لبلدان أخرى في آخر الطائرات الراحلة. أخذت كل الأموال المتبقية من عملي لشراء تذكرتي طائرة قادمة نحو بلاد الأمان -المغرب-، لم أعد أحتمل الترحال فروحي وقلبي تعبا بين التجوال هنا وهناك، إلاّ أنني لم أستطع البقاء هناك لترك الموت ينهبني وأختي كما نهب كل عائلتي وأحبابي.

كانت اجراءات المرور صعبة لكن ليست بصعوبة الإجراءات بالديار الإيطالية. في أيامي الأولى حاولت البحث عن عمل ولكن لم أجد من يأويني ويتحمل لاجئا في جائحة كهذه وكل أموالي باءت بالانتهاء. أرى أختي وهي تبتسم لجمال المغرب وناسه المرحبين بنا. لكن لم يعد لي مال لاستئجار بيت، ولم أجد مكانا أنام فيه غير الشارع ننام فيه ليلا ونجوبه صباحا لإيجاد قوت يومنا. إلا أن نظرة الجوع والحاجة على وجه أختي كانت تعتصر قلبي، وأخبار الفيروس تنتشر أكثر في المغرب. شعرت بالقلق أكثر وأكثر خصوصا بعد أن فُرض حظر التجول على الناس، والكل وجد ملجأ يختبئ فيه ومؤونة تكفيه ليحتمي، إلا أنا وشعبي نجوب الشوارع، أو على الأقل من لم يحالفه الحظ منا، فالشرطة توقفنا عشرات المرات في اليوم لتسأل عن ورقة تفسر خروجنا، ولكن ما يفسر خروجنا هو تاريخ من الدمار، لا ورقة ولا كتاب قد يفسر لمَا نجوب الشوارع....

أحسست بالضعف والفشل وأنا أقيس حرارة أختي المرتفعة وأسمع سعالها المشتد. لم أكن أريد الاقتناع بأن الفيروس أمسك بها واحتل كيانها كما احتلت الحرب بلادي وكما احتل الموت عائلتي، لم أرد خسران آخر أمل لي في الحياة. هرعت لأقرب مستشفى أطلب النجدة لأختي وهي تحتضر بين يدي وأرى الحياة تدق أبواب الخروج بين عينيها. وصلت للمستشفى أطلب النجدة، إلا أن الصف كان أطول مما كانت أختي قد تتحمل، فصرخت طالبا النجدة من أي أحد كما صرخت طالبا النجدة فارا من نيران بلدي، وكما هربت من الموت وأختي بين ذراعيّ. الآن أطلب النجدة للملاك الصغير بوجهها المُتعب وجسمها الهزيل. حاولت جاهدا إدخالها للطبيب الذي أخبرني أن الأوان قد فات ولم يعد هناك أمل. لم يبق إلاّ انتظار انتشال روحها، فقد أخذها الفيروس إلى مكان أمها وأبيها وأهلها وأحبابها، إلى بيت لا أحد يأخذه منك ولا كره

Moroccan Writers ©

ولا حسد.

دخلت لأرى جثتها فكانت كالملاك، تقدمت نحوها وأنا ألعن الفيروس الذي أخذ مني أملي الوحيد، وفي نفس الوقت أشكره لتخليصه أختي من عذابها. ما كان مني إلاّ أن أدفنها لوحدي، ما من أحد يغامر ويدفن طفلة مصابة. وأنا أدفنها، أرى كل ما عشناه، أتذكر بلدي وأنا أركض وألعب معها بين أزقة حلب ورائحة طبخ أمي، وأبي وهو يبتسم لنا، تذكرت جدي وهو يحتضننا بعد أن رحل أبوانا، تذكرت أحلامها وهي تريد أن تصبح صحافية تكتب عن الناس وهمومها، أتذكر وجوه أبي وأمي وجدي وأنا أدفنهم بعد أن أخذهم الموت مني، لك الله يا أختي. رميت آخر حبات التراب وأنا أسعل سعالا حادا، لم أتمالك نفسي حتى سقطت أنا الأخر مرميا على الأرض قرب قبر أختي، الناس حولي تصرخ لإنقاذي وأنا أبتسم وأقول: هاهو فجري قد جاء كما وعدتني يا جدّي.

**تمت**

Moroccan Writers ©